آليات تفسير المعنى المعجمي في معجم العباب للصغاني (ت650 هـ)

Mechanisms for interpreting lexical meaning in the dictionary of Al-Abab By Al-Saghani (d. 650 AH)

الباحث: **المشرف**

عبير عقيل خضير غالي المهداوي **ا.د.محمد حسين علي زعين**

الملخص

تَعَدُّ طرق التفسير المعجمي من الأدوات الأكثر أهمية التي يعتمد عليها المعجمي في توضيح المداخل المعجمية داخل المعاجم العربية، وتتنوع هذه الطرق على قسمين رئيسيين: الطرق الأساسية التي تُعد حجر الأساس في عملية الشرح المعجمي، والطرق المساعدة التي يتم إدراجها لإضافة مزيد من التفصيل والتوضيح، لكنها ليست ضرورية في الأصل، وتهدف هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على أبرز الطرق الأساسية المستخدمة في شرح المفردات داخل المعاجم العربية القديمة، مع التركيز على كتاب "العباب الزاخر واللباب الفاخر" الصغاني كحالةٍ دراسية.

واعتمدت الدراسة على تحليل المعجم باستعمال مناهج متعددة، فقد شملت المنهج الوصفي والتحليلي، بالإضافة إلى الاستقراء، وذلك لاستكشاف آليات التفسير المعجمي المتبعة في هذا العمل التراثي، وقد اسفرت الدراسة في التعرف على مجموعة من الاستراتيجيات والتقنيات التي استعملها الصغاني لتوضيح المداخل اللغوية بشكل عام، وكشفت الدراسة عن أبرز الطرق التي اعتمد عليها الصغاني بشكل خاص في شرح محتوى معجمه، مما يسمح بفهم أعمق لآليات التفسير النصي في التراث العربي.

Abstract:

Lexical explanation methods are considered one of the most important tools that lexicographers rely on in explaining lexical entries within Arabic dictionaries, and these methods vary into two main sections: The basic methods that are considered the cornerstone of the lexical explanation process, and the auxiliary methods that are included to add more detail and clarification, but are not originally necessary, and this study aims to shed light on the most prominent basic methods used in explaining vocabulary within ancient Arabic dictionaries, with a focus on the book "Al-Abab Al-Zakher and Al-Libab Al-Fakhir" by Imam Al-Sughani as a case study.

The study relied on analyzing the lexicon using multiple approaches, including the descriptive and analytical approach, in addition to induction, in order to explore the mechanisms of lexical interpretation used in this heritage work. It is expected that the results of the study will result in identifying a set of strategies and techniques used by Al-Sughani to explain linguistic entries in general, and it is expected that the study will reveal the most prominent methods that Imam Al-Sughani relied on in particular to explain the content of his lexicon, allowing a deeper understanding of the mechanisms of textual interpretation in the Arab heritage.

المقدمة :

يُعَدُّ العمل المعجمي واحدًا من أبرز وأدق المجالات التي تندرج ضمن نطاق الدراسات اللغوية في اللغة العربية، فهو يمثل ركيزة أساسية لفهم اللغة وإثراء مفرداتها. لقد كانت الحركة المعجمية عند العرب نتاجًا لجهود مضنية، سواءً على المستوى الفردي أو الجماعي، ما أدى إلى ظهور سلسلة من المعجمات التي شكلت علامة فارقة في التراث اللغوي العربي، ولقد بذل المعجميون القدامى جهدًا جبارًا في سبيل مواكبة التطورات التي عرفتها الحقول اللغوية الأخرى ؛ إذ انعكست هذه الجهود في حرصهم الشديد على جمع وتدوين الألفاظ المتنوعة للغة العربية، سواءً تلك المرتبطة بالاستعمال العام أو تلك ذات الطابع العلمي، ولم يكن هذا الجهد عشوائيًا، بل اعتمد على أسس منهجية دقيقة تتمثل في الحصر المنظم للألفاظ، وتوثيقها بأسلوب دقيق، وتعريفها تعريفًا يوضح معانيها ويحدد استعمالاتها ، مما أسهم في تعزيز مكانة اللغة العربية والحفاظ على غناها الثقافي والعلمي.

وتُعَدُّ المرحلة الأخيرة، والمعروفة بمرحلة الجمع والترتيب، جزءًا أساسيًا من عملية التعريف، حيث تتمثل مهمتها الرئيسية في شرح الألفاظ وتقديم تفسير دقيق لما تحمله من معانٍ ودلالات، وتهدف هذه المرحلة إلى تسهيل فهم الكلمات والمفاهيم المرتبطة بها، مما يجعلها أكثر وضوحًا وإدراكًا بالنسبة للقارئ أو الباحث، ومن الجدير بالذكر أنّ المعجميين لم يلتزموا بطريقة واحدة فقط في التعريف، بل اعتمدوا على مجموعة متنوعة من

الأساليب والطرائق التي ساهمت في تقديم الشروحات بأشكال متعددة لتلبية احتياجات واهتمامات فئات مختلفة من المستعملين .

ويلجأ المعجمي أثناء تقديمه للشرح وتفكيك المادة اللغوية التي يعمل عليها، إلى توظيف مجموعة متنوعة من الأساليب والطرق التي تم ابتكارها خصيصًا لتيسير عملية الفهم والوصول إلى عمق المعنى الأساسي للكلمات والتعابير المختلفة، وقد تعددت هذه الأساليب وتباينت وفقًا للمنهجية التي يعتمدها كل معجمي في عمله، فكل منهم يسعى إلى تطوير صيغة فريدة تتيح له تقديم محتوى يسهم بفاعلية في تمكين القارئ من تعزيز المهارتين الأساسيتين المرتبطتين باللغة: أولهما مهارة الاستعمال التي تعنى بالطريقة المثلى لاستخدام الألفاظ وتوظيفها في السياقات المختلفة، وثانيهما مهارة الاستقبال التي ترتبط بفهم وتحليل واستيعاب المعاني المطروحة.

وقد قسمتُ البحث على مبحثين عنى الأول بأليات تفسير الكلمة المفردة فكان بعنوان آليات تفسير الكلمة المفردة وقد ذكرتُ فيه آلية التفسير بالتعريف وآلية التفسير بالكلمة أما المبحث الثاني فقد درستُ فيه آلية التفسير بالجملة فكانت الفقرة الأولى آلية التفسير بالعبارة والفقرة الثانية آلية التفسير بالسياق ومن ثم آلية التفسير بالمصاحبة المعجمية ومن ثم الخاتمة ونتائج البحث تلتها قائمة المصادر والمراجع .

المبحث الأول: آليات التفسير بالكلمة المفردة :

أولاً : آلية التفسير بالتعريف

يُعَدُّ التفسير بالتعريف وسيلة لشرح المعنى باستعمال مجموعة من الكلمات المختلفة، إذ يتم إعادة صياغة الفكرة بأسلوب وعبارات أخرى، يرى المناطقة أن التعريف هو عبارة عن مجموعة من الصفات أو الخصائص التي تُبرز مفهوم الشيء وتجعله مميزًا عن غيره من المفاهيم الأخرى، وبالتالي يُعد التعريف والمعرَّف وجهين لعملة واحدة: أحدهما يقدم الفكرة بشكل مختصر وموجز، بينما الآخر يتناولها بالتفصيل والشرح. ولهذا السبب، نجد أن الكتب العربية تطلق عليه "القول الشارح"، كونه يهدف إلى توضيح الفكرة وإبرازها بشكل أوضح وأكثر تفصيلاً.(1)

ومن المعاجم التي استندت إلى نهج التفسير بالتعريف في توضيح معاني ألفاظها ومداخلها يأتي معجم العين في مقدمتها، إذ اعتمد أسلوباً تفسيرياً واضحاً ومباشراً، فعلى سبيل المثال، عند تفسيره لمصطلح "الجحيم"، وصفه بعبارة تحمل دقة ووضوحاً بأنها "تعني النار الشديدة الاشتعال والاحتراق المشتد"،(2) وأيضاً في تعريفه لكلمة "القذف"، أوضح أنها تشمل معاني متعددة، "أبرزها الرمي باستخدام السهم أو الحصى"،(3) أو حتى الكلام المعبر عن الاتهام، أما في سياق شرحه لمعنى كلمة "سلسبيل"، فقد أشار إلى أنها: "تُعبر عن نبع أو عين ماء موجودة في الجنة"،(4) وهو وصف يربط الكلمة بدلالتها الروحية ومنزلتها السماوية.

ولقد أوضح ابن فارس في شرحه لكتاب التثريب، مستفيضاً في تفسير المفاهيم ومناقشة الأفكار بمزيد من التعمق والتفصيل، إذ تطرق للموضوع بأسلوب مُطوَّل ومُدعَّم بالحجج والأدلة التي تضيف وضوحاً إلى المعاني المرادة وتعكس مدى البصيرة التي تميز بها تفسيره، إذ قال: "بأنه اللوم والأخذ على الذنب".(5)

أما العالم اللغوي الصغاني فقد اهتم بتوضيح معاني بعض الألفاظ من خلال منهج الشرح بالتعريف، مما يبرز عمق فهمه ودقته في التعامل مع المفردات اللغوية، ومن بين الأمثلة التي تناولها شرحه لكلمة "الحوف"، حيث قال إن الحوف هو الرهط، موضحًا أنه جلد يُشَق ليصير أشبه بالإزار، وكانت ترتديه النساء في أوقات الحيض والصبيان، إذ قال: "الحوف: الرهط ؛ وهو جلد يشق كهيئة الإزار تلبسه الحيض والصبيان وقال شمر: الحوف إزار من أدم تلبسه الصبيان والجمع الأحواف، وقال ابن الأعرابي: الحوف – في لغة أهل الحجاز – الوثر؛ وهو نقبة من أدم تقد سيوراً عرض السير أربع أصابع تلبسه الجارية الصغيرة قبل إدراكها"،(6) أما شمر فقد أضاف أن الحوف هو إزار مصنوع من جلد يُرتدى تحديدًا من لدن الصبيان، وكلمة "الأحواف" تستخدم للجمع، في حين تابع ابن الأعرابي تفسيره للكلمة في سياق لغة أهل الحجاز، معرفًا إياها بأنها الوثر، وهي قطعة

جلدية تُصنع على شكل نقبة تُقطع إلى سيور، ويبلغ عرض السير منها أربع أصابع، وترتديها الفتيات الصغيرات قبل بلوغ سن الإدراك.

كما تطرق الصغاني للتعريف بلفظة أخرى هي "العجرفية"، مبينًا أنها تشير إلى الجفوة أو الشدة في الحديث، وإلى نوع من الخرق أو عدم الإتقان في أداء الأعمال، فقال: "جفوة في الكلام وخرق في العمل، ويكون الجمل عجر في المشي لسرعته ورجل فيه عجرفية"،(7) و عن طريق هذه التوضيحات يظهر مدي تمكّن الصغاني من استنباط المعاني العميقة والدلالات المختلفة للكلمات وفقًا لاختلاف اللهجات والمناطق، ما يعكس أثر عمله في إثراء اللغة العربية وعلومها.

وأشار كذلك في تفسيره لمفهوم "عرفات" إلى أنها: "عرفات: الموضع الذي يقف الحاج به يوم عرفة، قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَاتٍ﴾. (سورة البقرة، الآية ١٨٩)، وهي اسم في لفظ الجمع فلا تجمع"،(8) وتطرق إلى تفسير كلمة "الصلفاء" من خلال قوله، "الصلفاء: الأرض الصلبة، والمكان أصلف، وقال ابن عباد الصلفاء صفاة قد استوت في الأرض، ويقال: صلفاءة –بوزن حرباءة–. وقال الأصمعي: الأصلف والصلفاء: ما اشتد من الأرض وغلظ وصلب، والجمع الأصالف والصلافي"،(9) إذ قدّم وصفًا دقيقًا يبرز معانيها المتنوعة ودلالاتها المختلفة، مشيرًا إلى كونها تعبيرًا يعكس صفات مُحددة ترتبط بشدة السلوك أو الطبع.

وفي سياق شرحه لمصطلح "الكرناف"، أوضح قائلاً إنه: "أصول الكرب تبقى في جذع النخلة بعد قطع السعف، وما قطع مع السعف فهو كرب، الواحدة كرنافة، والجمع كرانيف، وقال ابن عباد الكرنافة – بالضم – لغة فيها، ويقال للرجل العظيم القدم: كأن قدمه كرنافة؛ أي كرية".(10)

وذكر الصغاني في تفسيره لمصطلح "النجف" أنها تعني: "مكان لا يعلوه الماء مستطيل منقاد، والجمع: نجاف، وقال الليث: النجف يكون في بطن الوادي؛ شبه بنجاف الغبيط؛ وهو جدار ليس بجد عريض له طول منقاد من بين معوج ومستقيم؛ لا يعلوه الماء، وقد يكون في بطن الأرض وقال بعضهم: النجاف أرض مستديرة مشرفة على ما حولها، واحدتها: نجفة".(11)

والعديد من الألفاظ الأخرى التي قام الصغاني بجمعها وإيرادها في مؤلفاته، إذ تناولها بالشرح والتفصيل من خلال التفسير العميق والدقيق، ولقد حرص على توضيح معانيها وسياقات استخدامها بمزيد من العناية، مما أضاف قيمة معرفية كبيرة إلى هذا المجال، وأسهم في إثراء اللغة وتوسيع إدراك المتلقي للتراث اللغوي.

ثانياً :آلية التفسير بالكلمة

إن العمل المعجمي لا يقتصر على ربط لفظ محدد بمعنى أو مفهوم معين، بل يتجاوز ذلك ليصبح عملية توثيق ودراسة للغة في حركتها الاجتماعية، مع التركيز على ملاحظة السياقات التي تُستخدم فيها (12) فالكلمة الواحدة لا تكتسب معناها الكامل بمفردها، بل تتأثر بشكل مباشر بما يسبقها وما يليها من كلمات في السياق، حيث إن المعنى يتشكل ويتحدد بناءً على هذا الترابط اللغوي، فالكلمات تعمل معًا كوحدة متكاملة لتعبر بدقة عن الفكرة المقصودة أو الرسالة المرادة.

وبناءً على ذلك قام علماء الدلالة بتعريف معنى الكلمة وفقًا للنظرية السياقية على النحو الآتي: "استخدام الكلمة في اللغة، أو الكيفية التي يتم توظيفها بها ضمن النسيج اللغوي، لا يمكن فهمه بشكل كامل أو إدراك معانيه الدقيقة إلا من خلال وضعها في سياقات متعددة ودمجها في مواضع مختلفة، وهذا التفاعل مع السياقات هو ما يتيح كشف أبعادها ومعانيها المتنوعة، مما يجعلها تأخذ مدلولات مختلفة تبعاً للموقف الذي تستخدم فيه".(13)

ولقد أورد إبراهيم فتحي في معجمه الشهير المتعلق بالمصطلحات الأدبية تعريفًا للسياق، حيث أشار إلى أن السياق يمثل الإطار العام أو البيئة النصية التي تحيط بالعبارات والتراكيب في الخطاب الأدبي أو النصوص المختلفة، فأشار إلى أن السياق هو: "بيئة النص ومحيطه تتشكل عبر بناء متكامل من الفقرات المترابطة، إذ تُظهر العلاقة بين أي جزء من النص والأجزاء الأخرى التي تسبقه أو تأتي بعده مباشرة، وهذا السياق المتماسك لمجموعة الكلمات لا يركز فقط على إيضاح معاني الكلمات الفردية، بل يسهم أيضًا في الكشف عن المعنى الشامل والغاية الأساسية للفقرة ككل".(14)

ويرى بعض الباحثين أن السياق لا يقتصر فقط على كونه إطارًا عامًا يُورد ضمنه الكلام، بل إنه يمثل الغاية الأساسية والهدف الأعمق من طرح الأفكار أو صياغة العبارات أو توظيف الألفاظ، فالسياق بحسب هذه الرؤية، هو المحرك الأساسي الذي يمنح النص أو الخطاب معناه الحقيقي ويكشف عن مقصده النهائي، ليصبح بذلك أداة جوهرية لفهم القصد وإدراك الرسالة التي يسعى المتحدث أو الكاتب إلى إيصالها.(15)

ونظرًا للأهمية الكبيرة التي تحتلها النظرية السياقية في مجال تحديد معاني الكلمات والألفاظ، فإن العديد من علماء اللغة العرب قد أولوا هذا الموضوع اهتمامًا خاصًا، مشددين على دوره المحوري في فهم النصوص وتحليلها، ومن بين هؤلاء العلماء الذين عالجوا هذا المفهوم بعمق وموضوعية، يبرز اسم العالم اللغوي الجليل عبد القاهر الجرجاني، الذي تناول هذا المبدأ في مؤلفه القيّم "دلائل الإعجاز"، وقد أبدى الجرجاني رؤية فريدة حول العلاقة الوثيقة بين الكلمة وسياقها ضمن النسيج العام للنص، حيث أشار إلى أن المعنى ليس مرتبطًا

بالكلمة مفردة بل ينبع من سياقها والمحيط الذي توجد فيه، وهذا ما يجعل فهم النصوص يعتمد بدرجة أساسية على إدراك هذا الارتباط السياقي المميز، فيقول: "إن الألفاظ في ذاتها ليست أفضل أو أدنى من غيرها باعتبار كونها مجرد كلمات منفردة، بل تتجلى قيمتها وسوؤها في مدى توافق معناها مع المعنى الذي ترتبط به".(16)

وتُعَدُّ نظرية النظم التي طرحها عبد القاهر الجرجاني الركيزة الأساسية لدراسة الدلالة السياقية، إذ إنها تتناول عملية الكلام من منظور يقوم على مفهوم الدلالة المرتبطة بالسياق، وهذه النظرية تأخذ بعين الاعتبار طبيعة الكلام، سواء كان تعبيراً عادياً مألوفاً أو أسلوباً فنياً يرتكز على البلاغة والجمال اللغوي، يتضح هذا الطرح بجلاء في كيفية تناول عبد القاهر لموضوع اللغة في مؤلفيه الأساسيين دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة، حيث وضع تصوره حول النظم باعتباره شبكة معقدة من العلاقات اللغوية التي تستند إلى أسس محكمة، تتمثل في بناء وتركيب واستعمال نسق لغوي قائم على قواعد دقيقة ومعانٍ مترابطة، ومن خلال رؤيته، يُظهر النظم كعملية إبداعية تعكس جمالية اللغة وقوتها التعبيرية، مما يلقي الضوء على أهمية التماسك والانسجام بين الألفاظ والمعاني لتحقيق أداء بلاغي وتأثير يتناسب مع المقاصد التواصلية.(17)

ويُعَدُّ الاتجاه اللغوي لعبد القادر في دراسة الدلالة السياقية إنجازًا بالغ الأهمية، إذ قام بتأسيس منهج متكامل، ووضع قواعده الأساسية، وحدد معالمه بوضوح، ويعود هذا التميز إلى ثقافته اللغوية الواسعة، وموهبته الاستثنائية، وقدرته العالية على التذوق الجمالي والنفسي للنصوص الأدبية واللغوية، ولقد صاغ نظريته بأسلوب مبدع ضمن إطار منهج دلالي سياقي، مجسدًا ذلك في "نظرية النظم" التي تعد واحدة من أبرز إبداعات فكره اللغوي وأكثرها تميّزًا.(18)

ويتضح أن المنهج الدلالي السياقي الذي اعتمده عبد القاهر الجرجاني يتجاوز المفهوم التقليدي لدلالة الكلمة ككيان مستقل خارج إطار السياق، إذ إنّه لا يقتصر على المعنى المعجمي المحض، بل يتطرق إلى تداخل اللفظ والمعنى في وحدة تعبيرية متماسكة ترتبط بصورة وثيقة بمقامها وسياقها العام، وعندما يتحدث الجرجاني عن النظم، فإنه يقصد به السياق بكل أبعاده، ما يعكس توجهه نحو الكشف عن المعنى بطريقة شمولية تغطي مختلف المستويات اللغوية، سواء كانت صوتية أو صرفية أو نحوية أو دلالية، ومن خلال هذا الفهم العميق، يصبح واضحًا أن المعنى لا يُمكِن استنباطه فقط من الكلمات المفردة التي تنتمي إلى المعجم بمعزل عن غيرها، بل يُستفاد أكثر من التفاعل الدقيق بين الكلمات ضمن السياق العام للنص، وبمعنى آخر فإن السياق قد يحمل دلالات ثرية وشاملة لا يمكن نسبتها بشكل مباشر إلى كلمة محددة بعينها أو حتى إلى مجموعة كلمات مشتركة في النص، وإنما ينبثق المعنى الكامل من الانسجام والتكامل بين هذه العناصر ضمن السياق الذي يربط بينها،

وهكذا فإن عبد القاهر الجرجاني يؤكد أن المعاني اللغوية تُستَمد وتُفهَم من السياق الكلي للنص كما يُبنى على شبكة العلاقات الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية التي تشكّل النصوص الأدبية أو الخطابية.[19]

ومن الواضح أن الصغاني يولي اهتمامًا بالغًا بالعلاقة الوثيقة بين الكلمة وسياقها، مع الحرص على تحقيق الانسجام بين اللفظ والمعنى، ويتجلى هذا بوضوح من خلال استخدامه لمجموعة غنية من المصطلحات التي تتكرر عشرات المرات في مؤلفاته، وهي مصطلحات تعكس رؤيته العميقة للنصوص ودقة تعبيره عن أساليبها، ومن هذه المصطلحات: النظم، الترتيب، البناء، التأليف، النسق، الصوغ، النسج، الوشي، النقش، الحوك، التعليق، مقام الاستعمال، ومقتضى الحال، وهذه الكلمات ليست مجرد شعارات أو مفردات عابرة بل تحمل دلالات عميقة تعبر عن تصوره الفريد لعمليات التعبير والتركيب اللغوي وكيفية مراعاة الظروف المختلفة التي تفرضها سياقات الكلام المتنوعة.[20]

وذكر الصغاني في معجمه "العباب الزاخر" معنى لفظة (أم) واستخدمها ضمن سياقات متعددة، منها: "أم الجراف: بالفتح والتشديد الترس، والدلو أيضاً".[21] و" و"أم حذرف: الضيع، و أم خشاف: الداهية".[22] و "أم خلف الداهية العظمى"،[23] و "للجرادة: أم عوف".[24] وفسر الصغاني بعض ألفاظ معجمه بلفظة واحدة بقوله : " القَهزَبُ :القَصِيرُ "[25] ، " والتُّرَّهَاتُ البَسَابِسُ هي البَاطِلُ "[26] ، وتوجد عدة أمثلة متعددة تسلط الضوء على هذا الأمر بوضوح، ويتميز هذا النوع من التفسير بكونه يحمل طابع التيسير؛ إذ يسعى إلى تحقيق الفهم بسرعة ودقة دون الحاجة إلى الإطالة في الشرح أو الاستفاضة في التوضيح، فالفكرة الأساسية تكمن في تقديم المعنى المطلوب بشكل موجز وبسيط، مما يسهم في تقليل الوقت اللازم لفهم المعنى المقصود، مع تجنب التطويل الذي قد يشتت الأذهان أو يثقل على المستمع أو القارىء.

المبحث الثاني : آليات التفسير بالجملة

أولاً: آلية التفسير بالعبارة

يتمُّ تفسير معنى الكلمة من خلال تحديد ملامحها الدلالية ضمن سياق عبارة أخرى، بحيث يتم تقديم فهم أعمق وتجسيد لمعناها بشكل غير مباشر من خلال التركيز على معانيها التمييزية. تعتمد فكرة العناصر التكوينية أو التحليلية على تفكيك المحتوى الدلالي للكلمة وتحليله إلى مجموعة من المكونات أو الملامح المميزة التي تفرّدها عن غيرها من الكلمات، وتهدف هذه الفكرة إلى أن تكون هذه الملامح مقتصرة على العبارة المستهدفة فقط، بحيث لا تُشترك فيها مع عبارة أخرى، لأن المشاركة في نفس الملامح قد يؤدي إلى الترادف

بين الجملتين، بالإضافة إلى ذلك تستفيد نظرية العناصر التكوينية من ثلاثة جوانب أساسية في علم المعجم، مما يساعد على بناء فهم أكثر تعمقاً ودقة لتمايز الكلمات ومعانيها في السياقات المختلفة.[27]

تنبع أهمية تحديد سياقات العبارات واستخداماتها الفعلية من كون العبارة لا تمتلك وجودًا مجردًا ومستقلًا بذاتها، وإنما يتحقق وجودها الفعلي عبر الطريقة التي يتم استخدامها بها، ولهذا يصبح من الضروري تحديد معنى العبارة وما تتضمنه من معاني بوصفها جزءًا من نظام متكامل، إذ إن العبارة قد تحمل معاني متعددة تبعًا للسياق الذي تُوظَّف فيه.[28]

وقد أشار الدكتور علي زوين إلى أن التفسير باستعمال العبارة يمكن اعتباره واحدًا من المظاهر التي تنبع من السياق العام للنصوص، وقد عبّر عن هذا المفهوم بقوله إن هذه الظاهرة تعكس قدرة النص على تقديم توضيحات تساعد القارئ أو المستمع على استيعاب المعاني المضمرة أو الضمنية التي قد لا تكون واضحة بصورة مباشرة، بقوله: "المعنى الخاص للكلمة المشتركة لا يتحدد إلا من خلال السياق الذي ترد فيه في العبارة، فمثلاً عبارة العين التي تم استخدامها كمثال تحمل في طياتها مجموعة متنوعة من الدلالات، وهذه الدلالات يُطلق عليها في مصطلحات علم اللغة الحديث "المعاني المعجمية"، وهذا النوع من المعاني يمتاز بقدرته على التنوع والتعدد؛ إذ يمكن للكلمة أن تشير إلى عدة مفاهيم وفقاً لاستخدامها المعجمي، وعلى العكس من ذلك نجد أن المعاني السياقية تتميز بوضوحها وتحددها، حيث تقتصر على معنى واحد فقط يتم اختياره من بين مجموعة المعاني المتاحة بناءً على السياق المحيط بالكلمة".[29]

وأشار الصغاني إلى العديد من المواضع التي فسّر فيها معاني الكلمات باستخدام العبارات، ومن بينها: "ما جاء في شرح لفظة "الأسيف"، إذ أورد لها معان عدة، منها: العبد، والأجير، والسريع الحزن الرقيق القلب، والذي لا يكاد يسمن".[30]

وتعددت معاني لفظة "الخطاف" كما ورد في الشرح، ومن أبرزها: "طائر، وحديدة تكون البكرة فيها المحور، وفرس".[31]

وقدم أيضًا تفسيرًا شاملاً للفظة "الخلف"، موضحًا معانيها المتعددة بتفصيل دقيق، فقد أشار إلى أن هذه الكلمة تحمل في ثناياها دلالات متنوعة، تُستمد من السياق الذي تُستخدم فيه، فقال: "والخلف القرن بعد القرن، يقال: هؤلاء خلف سوء الناس لا حقين بناس أكثر منهم.... والخلف: القرن بعد القول، ومنه المثل: سكت ألفاً ونطق خلفاً، ونصب "ألفا" على المصدر؛ أي سكت ألف سكتة ثم تكلم بخطأ... والخلف – أيضاً – الاستقاء.... والخلف – أيضاً –: أقصر أضلاع الجنب... وقال بن الأعرابي: الخلف: الظهر بعينه".[32]

وقام الصغاني بتفصيل معنى كلمة "السعف" في شرحه، حيث أوضح ذلك بدقة، إذ قال: "لسعف ورق جريد النخل الذي يسف منه الزبل والجلال والمراوح وما أشبهها، وقال الليث: أكثر ما يقال له السعف إذا يبس، وإذا كانت السعفة رطبة فهي شطبة... والسعف – أيضاً –: التشقق حول الأظفار والشقاق، وقد سعفت يده – بالكسر – وستفت... والسعف – أيضاً – داء يأخذ في أفواه الإبل كالجرب تتمعط منه خراطيمها وشعر عيونها".[33]

من ذلك نلحظ أنّ الصغاني قام بتفسير اللفظ بالعبارة وفقاً لاستعمالاته وحسب سياق الجملة داعماً قوله بامثلة للتيسير على الباحث و القارىء فهم معنى اللفظ حين وروده في سياقات مختلفة .

ثانياً : آلية التفسير بالسياق

عنى اللغويون المعاصرون بتوضيح سياقات الكلمة بهدف تحديد مجالات استخدامها المختلفة، والتعرف على المصاحبات اللفظية التي تكون شائعة معها، بالإضافة إلى استعراض التراكيب التي تشكل جزءًا منها، فإن فهم الكلمة لا ينبغي أن يقتصر على تفسير معناها المجرد، لأن معناها الحقيقي يظهر بوضوح عند وضعها في سياق مناسب، ووجود الكلمات يتجلى عبر استخدامها وليس من خلال كونها مجردة في نفسها، فلكل كلمة نسبة من الغموض تبقى قائمة حتى تُستعمل في سياق محدد يوضح معناها الفعلي.[34]

وقام بعض اللغويين بتصنيف الكلمة إلى أربعة سياقات مختلفة:

أولاً: السياق اللغوي: يشير إلى البيئة اللغوية المحيطة بكلمة أو جملة أو حتى صوت لغوي (فونيم)، ويشمل نوعية الكلمات والتعبيرات المحيطة التي تسهم في تحديد المعنى وفهم المحتوى بشكل أدق.

ثانيًا، السياق الثقافي: وهو السياق الذي يكشف عن المعاني المرتبطة بثقافة أو حضارة معينة، أو بفئة اجتماعية محددة، فعلى سبيل المثال في اللغة العربية، نجد أن كلمة "جذر" تحمل معنى مختلفًا عند المزارعين والفلاحين مقارنة بمعناها عند الرياضيين، وكذلك كلمة "فاعل" تكتسب دلالة معينة عند علماء اللغة والنحو تختلف عن معناها القانوني الذي يستخدمه القضاة، وهكذا تتغير المعاني تبعًا للسياق الثقافي والاجتماعي.

ثالثًا: السياق العاطفي: يتجلى من خلال استعمال ثنائيات لغوية تعكس ذات المعنى ولكن بدرجات مختلفة، مثل الكره والبغض، الحب والعشق، النوم والسبات، الجلوس والاتكاء، وغيرها من الأزواج التعبيرية المشابهة.

رابعًا، سياق الموقف: والذي يُعرف أيضًا بسياق الحال، يُشير إلى الإطار الخارجي الذي يتم فيه حدوث عملية التواصل بين شخصين أو أكثر، ويشمل هذا السياق مجموعة من العناصر التي تُحيط بالتفاعل، مثل الزمن الذي تمَّ فيه التواصل والمكان الذي جرت فيه المحادثة وطبيعة العلاقة التي تجمع بين الأطراف المتواصلة، بالإضافة إلى القيم والأعراف المشتركة التي تؤثر في كيفية فهم الرسائل المتبادلة، كما يُؤخذ في الحسبان الكلام السابق الذي حدث قبل هذا التفاعل، والذي قد يكون له أثر كبير في تحديد المعنى المراد وفهمه. (35)

ولتوضيح هذا النوع من السياق بشكل أعمق، يمكننا النظر إلى استعمال العبارة "يرحمك الله"، ففي حالة قولها لشخص عطس، تكون الغاية هي طلب الرحمة له في حياته الدنيوية كتعبير عن الدعاء وطيب النية، أما إذا ذُكرت العبارة نفسها في سياق الإشارة إلى شخص متوفى، فإن المقام يكون مختلفًا، حيث تُستخدم للتضرع وطلب الرحمة له في الحياة الآخرة، واللافت هنا هو التغير البسيط في ترتيب الكلمات، حيث يُقال "الله يرحمه" للتعبير عن هذا المعنى الخاص، ويُظهر هذا المثال بوضوح كيف يمكن لسياق الحال أن يغير المعنى تمامًا وفقًا للموقف وحالة الأطراف المتواصلة.(36)

ولقد شهد استخدام المنهج السياقي في المعاجم الأوروبية رواجًا حديثًا مع تطور الدراسات الدلالية المعاصرة، إلا أن تطبيقه الشامل ما زال محدودًا، نتيجة لتحديات تعترض تنفيذه، فعندما يقرر معدّ المعجم أن كلمة معينة تأتي مرتبطة بسياقات محددة، يتوجب عليه إثبات أن هذه الكلمة لا تُستخدم إلا في تلك السياقات ولا تظهر مع غيرها، وإضافة إلى ذلك يواجه هذا النهج عقبة كبيرة تتعلق بارتفاع التكلفة؛ إذ يستلزم إنشاء قاعدة بيانات شاملة، واستخدام تقنيات حديثة مثل الحواسيب والماسحات الضوئية، وتحضير ملفات تضم الاقتباسات المطلوبة، وهو ما يعني الحاجة إلى ميزانية مرتفعة جدًا لتحقيق ذلك.(37)

وتتجلى أهمية اتباع المنهج السياقي في القدرة على تحديد الكلمات التي تُستخدم معًا ضمن نفس السياق والتمييز بين المجالات المختلفة التي تُوظَّف فيها تلك الكلمات، فمن خلال هذا المنهج، يصبح من الممكن الكشف عن الفروق الدقيقة بين الكلمات التي يُعتقد أنها مترادفات لدى الناطقين باللغة، إذ من النادر جدًا أن تستعمل كلمتان مختلفتان بشكل متطابق تمامًا في جميع السياقات، ولذلك يُعد المنهج السياقي أداة فعالة تسهم في تعميق فهم العلاقة بين الكلمات وطبيعة استعمالها على وفق اختلاف المواضع والظروف التواصلية.

واعتمد الصغاني على المنهج السياقي كأحد الأساليب التي استخدمها لتوضيح الألفاظ وتيسير فهم معانيها، حيث أورد ذلك ضمن تناوله لمادة زقف: "قال ابن دريد: الزقفة –بالضم–: من قولهم هذه زقفتي أي

لقفتي التي التقفتها بيدي... يقال توقفت الكرة وتلقفتها بمعنى واحد، وهما أخذها باليد أو بالفم بين السماء والأرض".[38]

وأفرد في مادة "العذف" بشكل أكثر وضوحًا ودقة فقال: "العدوف والعذوف واحد وهو ما يتقوته الإنسان والدابة".[39] كما أضاف في تفسيره لمادة "الحف": "اللحف واللحس: واحد".[40]

ثالثاً : آلية التفسير بالصاحبة المعجمية

ظهرت فكرة الصاحبة المعجمية في العديد من الكتب والدراسات بصور ومفاهيم متنوعة، حيث تناولها كل عالم أو مفكر لغوي وفقاً لرؤيته الخاصة، ولم يقتصر الاهتمام بهذه الظاهرة على مؤلفات اللغويين العرب فحسب، بل أولت المعاجم العربية أيضاً عناية كبيرة بها، إذ تضمنت الكثير من الألفاظ الصاحبة ضمن محتوياتها، أما اللسانيون المحدثون ، فقد تطرقوا إلى هذه الظاهرة من منظور جديد، يختلف عن رؤية القدامى لها، مستندين إلى توجهاتهم المعرفية والنظرية والمنهجية الخاصة.

فالمصاحبة تُعرف بأنها العلاقة التي تربط بين الكلمات في التعبير اللغوي، حيث تتجاوز إحدى الكلمتين الأخرى في التركيب، ويُقصد بذلك أن تكون العلاقة بين الكلمتين من نوع ما، مثل العلاقة التي تربط الصفة بالموصوف، ومن أبرز ما يميز المصاحبة المعجمية هو الإيجاز، بساطة التركيب، سهولة الألفاظ، قوة الدلالة، إضافة إلى الاتساق والانسجام بين المفردات المستخدمة.[41]

ومن العلماء القدامى الذين أدركوا أهمية هذه الظاهرة كان الصغاني، حيث أوضح ضرورة وضع الكلمة المناسبة في موضعها المناسب ضمن التركيب بما يقتضيه السياق، واتجه الصغاني إلى استعمال الأمثلة التوضيحية كأداة فعّالة لتبسيط وشرح معاني الكلمات والمفردات اللغوية بأسلوب سلس ومفهوم، ومن بين هذه الأمثلة، قدم تفسيرًا معمقًا للفظة "خسف"، حيث عمد إلى تفصيل معانيها المختلفة مع الإشارة إلى سياقات استخدامها، مما جعل الشرح أقرب إلى الأذهان وأكثر وضوحًا للمتلقي، فقال: "خسف المكان يخسف خسوفاً: ذهب في الأرض، وخسف اله به الأرض خسفاً: أي غيبة فيها، ومنه قوله تعالى: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ﴾. (سورة القصص، الآية 81).

لقد أورد الصغاني في تفسير كلمة "سرف" أن السرف يمثل ضد القصد، وجاء في حديث النبي أنه قال: لا ينتهب الرجل نهبة ذات سرف وهو مؤمن، أي نهبة ذات شرف وقيمة عظيمة، فالمراد هنا الأشياء ذات القدر الكبير التي يستنكرها الناس لعظمتها ويعجبون بها ويعتبرونها فائقة الأهمية.[42]

ويتضح من الأمثلة التي عرضناها أن الصغاني اعتمد على التنوع في الأمثلة التوضيحية أثناء شرحه للألفاظ، حيث استخدم الشواهد القرآنية والمقتطفات الشعرية بالإضافة إلى الأمثال كأدوات لتوضيح المعاني التي أراد إيصالها للجمهور.

الخاتمة وأبرز نتائج البحث

من خلال الأمثلة التي استعرضناها سابقًا، يمكننا أن نلاحظ بوضوح أن الصغاني اعتمد على استراتيجية التنويع في اختيار الأمثلة التوضيحية التي استعملها أثناء شرحه للألفاظ، وقد استند في ذلك إلى مجموعة متنوعة من المصادر الموثوقة والثرية، حيث لجأ إلى استعمال الشواهد القرآنية المليئة بالإعجاز البلاغي، بالإضافة إلى مقاطع من الشعر العربي التي تحمل في طياتها عمقًا لغويًا وثقافيًا، كما استعان بالأمثال الشعبية التي تعكس الحكمة المتداولة في المجتمع، وكل ذلك كان بهدف تقديم الإيضاح الكامل للمعنى الذي يرغب في إيصاله إلى القارئ أو السامع، مما يعكس حرصه على تعزيز فهم المتلقي من خلال أمثلة شاملة ومتنوعة.

وفي نهاية هذه الدراسة، تم التوصل إلى مجموعة من النتائج الهامة، وهي:

1. ظهرت الدراسة أن الصغاني اعتمد على أساليب متنوعة في توضيح معاني الألفاظ والتعبيرات، مستخدمًا عدة منهجيات، منها التفسير عن طريق التعريف، والتوضيح بالكلمة، وشرح الكلمة من خلال ذكر سياقاتها المختلفة، بالإضافة إلى التفسير السياقي باستخدام أمثلة توضيحية.
2. الإفراط في استعمال العباب يعتمد على طريقة شرح ترتكز إلى توضيح سياقات الكلمة، حيث ترتبط هذه الطريقة ارتباطًا وثيقًا بأسلوب الشرح الذي يعتمد بشكل أساسي على الأمثلة التوضيحية.

قائمة المصادر والمراجع

- أسرار البلاغة في علم البيان ، عبد القاعر الجرجاني ، تحقيق عبد الحميد هنداوي ، دار احياء التراث العربي ، ط1 ، 2001 .
- دراسات في الدلالة والمعجم، رجب عبد الجواد إبراهيم، دار غريب، ط 1، 2001
- دلائل الإعجاز في علم المعاني ، الجرجاني، تحقيق: محمود شاكر أبو فهر ، مطبعة المدني بالقاهرة . دار المدني بجدة ، ط3 ، 1992 .
- الدلالة السياقية عند اللغويين، عواطف كنوش المصطفى، جامعة البصرة، كلية الاداب، 1992
- سياق الحال في كتاب سيبويه في النحو والدلالة، د. أسعد خلف عوادي، دار الحامد للنشر والتوزيع، 2011.

_ صناعة المعجم الحديث ، أحمد مختار عمر، دار الامين للطباعة، ط1، 1998

- العباب الزاخر واللباب الفاخر، الصغاني، تحقيق: فير محمد حسن المخدومي ، قابل اصوله واعاد تحقيقه : تركي بن سهو بن نزال العتيبي ط1 دار صادر بيروت لبنان .
- علم الدلالة دراسة نظرية وتطبيقية، فريد عوض حيدر، ط1، القاهرة، 2005.
- علم الدلالة دراسة تطبيقية في شرح الأنباري للمفضليات، عبد الكريم محمد حسن جبل، دار المعرفة الجامعية، 1997.
- العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي ، دار ومكتبة الهلال .
- المصاحبة اللغوية في الحديث النبوي الشريف، د. علاء طلعت أحمد، مكتبة الآداب، القاهرة، ط 1، 1923
- المعاجم اللغوية في ضوء علم اللغة الحديث، محمد أحمد أبو الفرج، بيروت، ط1، 1966.
- معجم المصطلحات الأدبية، إبراهيم فتحي، المؤسسة العربية للناشرين المبتدئين، ج1، 1986.
- مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت، 1979.
- منهج اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث، د. علي زوين، دار الشؤون الثقافية، 2009.

هوامش البحث

- 1 ينظر : صناعة المعجم الحديث، أحمد مختار عمر: 112.
- 2 العين، الخليل ، باب الحاء والجيم والميم : 87/4 .
- 3 م . ن ، باب القاف والذال والفاء 5/ 135.
- 4 م . ن، باب الخماسي من السين،345/7 .
- 5 مقاييس اللغة، الرازي : 375/1 .
- 6 الصغاني، العباب الزاخر واللباب الفاخر :8/ 120 .
- 7 م .ن : 413/12.
- [8] م . ن :423/12.
- 9 م . ن: 356/6 .
- 10 م .ن : 533/12، 534 .
- 11 م . ن : 580/12 .
- 12 ينظر : علم الدلالة دراسة تطبيقية في شرح الأنباري للمفضليات ، عبد الكريم محمد حسن جبل : 63.
- 13 ينظر : صناعة المعجم الحديث، أحمد مختار عمر : 132.
- 14 ينظر : معجم المصطلحات الأدبية، إبراهيم فتحي : 1/ 201 . 202 .
- 15 ينظر : سياق الحال في كتاب سيبويه في النحو والدلالة، د. أسعد خلف عوادي : 3222 .
- 16 ينظر : دلائل الإعجاز، الجرجاني :1/ 46 .
- 17 ينظر : أسرار البلاغة، الجرجاني :227 .230.
- 18 ينظر : الدلالة السياقية عند اللغويين، عواطف كنوش المصطفى : 146.
- 19 ينظر : م . ن : 146.
- 20 العباب الزاخر واللباب الفاخر، الصغاني : 437 .
- 21 العباب الزاخر واللباب الفاخر، الصغاني : 6 /59 .
- 22 م . ن : 85/6 .
- 23 م .ن : 6/ 142 .
- 24 م . ن : 12/ 420 .
- م . ن : 425/2(25)
- م . ن : 228/7 .(26)
- 27 ينظر : صناعة المعجم الحديث ، أحمد مختار عمر : 131.
- 28 ينظر : م .ن : 132.
- 29 ينظر : منهج اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث ، د. علي زوين : 121.
- 30 العباب الزاخر واللباب الفاخر، الصغاني : 1/ 22.
- 31 م . ن : 1 / 152 .153 .
- 32 م . ن : 1 / 161 162 .
- 33 م . ن : 8 / 273 . 274.

- 34 ينظر : صناعة المعجم الحديث أحمد مختار عمر : 131، 132.
- 35 ينظر : المعاجم اللغوية في ضوء علم اللغة الحديث، محمد أحمد أبو الفرج : 107.
- 36 ينظر : علم الدلالة دراسة نظرية وتطبيقية ، فريد عوض حيدر : 158– 162.
- 37 ينظر : دراسات في الدلالة والمعجم ، رجب عبد الجواد إبراهيم : 25 .
- 38 ا العباب الزاخر واللباب الفاخر، الصغاني : 3/ 249 .
- 39 م .ن : 12 / 420.
- 40 م . ن : 12/ 562 .
- 41 ينظر : المصاحبة اللغوية في الحديث النبوي الشريف، علاء طلعت أحمد: 18.
- 42 العباب الزاخر واللباب الفاخر، الصغاني : 6 / 136.